الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات

ميدان اللغة الأدب العربي

عنوان المذكرة:

رثاء المدن والممالك الزائلة في الشعر الأندلسي سينية ابن الأبار نموذجا

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
تخصص أدب عربي

إعداد الطالبتين:

* ثلجة خيطر
* شافية بن النية

إشراف الدكتور:

** محمد زلاقي **

السنة الجامعية: 2010-2011

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال رسول الله ﷺ :

من اصطنع إليكم معروفا فجازوه ، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد شكرتم فإن الشاكر يحب الشاكرين

فالحمد لله الذي هدانا إلى هذا وما كنا لنهتدي ، والذي أمدنا بالصبر ووفقنا لإتمام هذا العمل ، علت قدرته تعالى عمّا يصفون وحده لا شريك له ، أقام الأمور بعزائم أمره ، وخشعت له الأكوان بنفوذه ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله حامل الرسالة الناطق بالحكمة وفصل الخطاب ، أما كلمة الشكر فهي للحق وحده رب العزة تجلى في علاه .

كما نتقدم بأرقى وأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى أستاذنا المحترم الذي لم يبخل علينا بنصائحه وآرائه وإرشاداته القيمة ، إليك أحسن الكلام : الدكتور محمد زلاقي الذي رافقنا طيلة فترة انجازنا لهذا البحث المتواضع بالنصائح والإرشادات الصائبة والقيمة والذي جمع أفكارنا وصحح أخطائنا وأنار دربنا . إلى جميع الأساتذة والإداريين بكلية الآداب إلى كل من ساهم وقدم يد المساعدة لنا على انجاز هذا البحث وكانت له بصمة فيه وشكر خاص للمشرفة على كتابة هذه المذكرة 'الهام' .

لأن الحكمة تقول : إن من لا أخ له كساعٍ إلى الهيجاء بغير سلاح.

إليكم جميعا شكرنا وبارك الله فيكم .

مُقَدِّمَة :

إزدهرت الدراسات الأندلسية في السنوات الأخيرة ازدهارا ملحوظا وتنوعت جهود الباحثين المتخصصين في الميدان فأفردت دراسات تؤرخ للنصوص الأدبية في الأندلس وتستنبط الظواهر والسمات وتبرز نشاط الشعراء والأدباء .

واستدعى انتباهنا بالأخص موضوع رثاء المدن و الممالك الزائلة في الشعر العربي القديم ،الذي أكثر الشعراء القدامى من القول فيه ووسعوا مجاله وافقه لدرجة أن أصبح علما قائما بذاته .

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع بالذات هو توفرنا على مجموعة لا بأس بها من المصادر والمراجع كما انه موضوع غني وشيق يثير القارئ وبنمي فيه حب الاطلاع على الأحوال التي مرت بها الأندلس خاصة في عصر ملوك الطوائف .

واعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي لأنه الطريقة المثلى لتحليل النصوص وتناولها بالدراسة سواء الموضوعية أو الفنية وقد قسمنا هذا البحث إلى مدخل وثلاثة فصول وأُنهيناه بخاتمة فاشرنا في المدخل إلى طبيعة الأندلس وما تخللها من أنواع الصراع الذي يتمثل في نشأة وقيام بلنسية ،ثم تحدثنا عن الناحية الاجتماعية وكذا الناحية العلمية والأدبية . أما الفصل الأول فتحدثنا فيه عن المدن الأندلسية الزائلة وخصصنا بالذكر مدينتي طليطلة واشبيلية مع الاستشهاد بأبيات شعرية في رثائهما وتناولناها بالشرح،والفصل الثاني خصصناه لذكر مملكتين أندلسيتين هما مملكة بن الأفطس ومملكة بني عباد مستشهدا بنماذج شعرية

في رثائهما مع الشرح،وتناول الفصل الثالث القصيدة السينية لابن الأبار باعتبارها نموذجا وقمنا بتحليلها تحليلا فنيا وأدبيا ركزنا فيه على المطلع والمقدمة والموضوع الرئيسي للقصيدة ،وكذلك من ناحية الوزن والقافية ،ثم اللغة والأسلوب مع توضيح أساليب البديع وأساليب البيان، بالإضافة إلى بعض الخصائص الفنية . وفي الأخير ختمنا هذا البحث بخاتمة استخلصنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها واهم مرجع استعنا به هو محمد زكرياء عناني في الأدب الأندلسي ،أما أهم مصدر فهو عمر فروخ تاريخ الأدب العربي.

ونعترف أننا قد عانينا ونحن في أول الطريق من قلة توفر المصادر والمراجع من جهة وصعوبة قراءة وفهم الموجودة منها من جهة أخرى ولكن على الرغم من هذه المعاناة وصلنا بعون الله وتغلبنا على الكثير من الصعوبات بفضل العزيمة القوية والإرادة والكد والبحث الدائمين ونصائح الأستاذ المشرف .

في الأخير، نقدم كلمة شكر وتقدير واحترام لأستاذنا الفاضل الدكتور "محمد زلاقي" الذي رعى هذا البحث منذ أن كان فكرة إلى أن استوى وضعه ، ونسأل الله أن يبقيه لنا ذخرا وللعلم موئلا وللمتعلمين هاديا ومرشدا .

- المدخل :

من المعروف أن المادة الأدبية ينبغي أن تكون جوهر الاهتمام ومركز الرؤية ومع ذلك فان لكل إبداع أدبي مجاله الزماني والمكاني الذي يولد فيه. وأيا كانت الاعتبارات الذاتية فان الأمر لايخلو من الموضوعية .ومن الضروري أن نتعرف على الخطوط الرئيسية للبيئة والعصر والمجتمع حتى تزداد معرفتنا بالعمل الأدبي أصالة وعمقا.

والأندلس في المفهوم العربي الإسلامي تشمل الفترة التي تبدأ بالفتح العربي سنة 92ه وتمتد حتى سقوط غرناطة سنة 898ه .كما تطلق تلك التسمية على كل الأقاليم المفتوحة من شبه الجزيرة الأبيرية فها نحن أمام فترة تبلغ ثمانية قرون وتمتد مكانيا امتدادا شاسعا.

الحياة التاريخية والسياسية :

من الناحية التاريخية والسياسية أطلق العرب اسم الأندلس على البلدان الاسبانية التي فتحوها، ولقد أغرت طبيعة الأندلس الناس منذ العصور القديمة وطمحت نفوسهم إلى غزوها والاستيلاء عليها فنزل بها الكلت والسبك والجلالقة ونزلها البرابرة والقرطاجيين واستولى عليها الرومان والفندال والقوط العرب، ولهذا اختلفت الأصول العرقية لسكان بلاد الأندلس وتنوعت وكانت مزيجا من شعوب قديمة كلتية وأيبيرية دخلتها تأثيرات يونانية وآسيوية باعتبار أن الإغريق والقرطاجيين عرفهما البحر المتوسط منذ العصور القديمة وكانت لهما مستعمرات ومحطات تجارية فيه امتد بعضها فيه إلى اسبانيا كما كانت هذه الأخيرة لدى الولايات الغربية للدولة الرومانية مند القرن الثاني للميلاد فارتبطت حضاريا بها تسود فيها لغتها وديانتها وقوانينها. [1]

وقد ظلت اسبانيا إقليما رومانيا حتى أواخر القرن الرابع للميلاد الذي كان بداية لنهاية الإمبراطورية الرومانية بالمفهوم الشامل لهذه الكلمة حيث استولت عليها إحدى جماعات

[1] ساندرا قوابي : رسالة ماجستير 2003 - 2004 ،مخطوط بجامعة قسنطينة ص 9 ــ13

المتبربرين من الجرمان وهم الغندال الذين اضطر والى مغادرتها والاستقرار في السواحل المغربية تحت ضغط هجمات القوط وذلك في (429م) ويذكر(حسين مؤنس) انه في أواخر القرن الرابع الميلادي استطاع القوط الغربيون أن يسيطروا على القسم الغربي من الدولة الرومانية وفرض سيادتهم عليها فقد استقروا في شبه الجزيرة واخذوا يمتدون في نواحيها شيئا فشيئا حتى استقروا باسبانيا وأعلنوا أنفسهم ملوكا غير تابعين لأحد وكان ذلك في أوائل القرن الخامس حيث اتخذوا مدينة طليطلة عاصمة لهم وهي بلد تقع في وسط شبه الجزيرة ولكنهم فشلوا في تحقيق مجتمع موحد وكانت البلاد على أسوء حال نظرا للضرائب الباهظة الملقاة على عاتق التجار والمزارعين والفلاحين فضلا عن العبيد الذين استغلوا لخمة النبلاء والأسر الحاكمة أسوء استغلال وتضعضع السلطة وتنافر عناصر الشعب المختلفة.وفي هذه الفترة التي تجتاز فيها دولة القوط أصعب المحن كان العرب من جهة أخرى قد سيطروا على جميع بلاد المغرب وطمحوا إلى فتح الأندلس بعدما انتهوا من فتحهم للمغرب وخاصة بعد معرفتهم بالمحن التي تمر بها دولة القوط وكذا لمعرفتهم بثراء الأندلس وغناها .

وكانت الأندلس أيام (عبد الرحمان الأول) على أحسن حال فقد حذا حذو العباسيين في سياسته وإدارته وسار على طريقة زعمائها وعلمائها وكانت نتيجة إتباع هذه السياسة توفرها على أحسن حال من مجد وثروة في جميع الجوانب فاتسم عهد بني أمية في الأندلس بالازدهار والرقي والحضارة.[1]

[1] المرجع السابق ، ص 10-13

وقد اصطلح الدارسون على تقسيم عصور الأندلس تاريخه وأدبه وفقا لأقسام هي:

1 مرحلة الولاة:

وتبدأ من الفتح (92ه) حتى استيلاء الأمير الأموي (عبد الرحمان الداخل)على مقاليد الأمور في

قرطبة سنة (198ه–755م)وفي خلال هذه المدة كانت الأندلس مجرد ولاية تابعة للدولة الأموية بالمشرق ،وقد عرفنا كيف أن موسى بن نصير وطارق بن زياد اتجها إلى دمشق بأمر من الخليفة الأموي وعين عبد العزيز بن موسى بن نصير واليا على الأندلس وبدأت معه مرحلة جديدة من الفتوح لكنها أجهضت بمقتله سنة (97ه)وتوالت محاولات الفتح من بعده خاصة في عهد عبد الرحمان الفافقي الذي وصلت غزواته إلى إقليم (أكيتانيا)في الجنوب الغربي من فرنسا واستولى على مدينة *بوردو*ولكن جيوشه لقيت هزيمة مباغتة عند مدينتي *تور*و*بواتييه* سنة(114ه–732م) وتعرف هذه المعركة في الكتب العربية باسم بلاط الشهداء .وقد أوقفت هذه الهزيمة المد العربي ،كما جاءت عوامل أخرى داخلية فزعزعت الكيان هناك ذلك أن الفتن الداخلية اشتعلت بين المسلمين بسبب عوامل الفساد والاستبداد وضيق الأفق ،وقد شعر الأيبيريون الذين اعتنقوا الإسلام بالغبن لأنهم طولبوا بأداء الجزية على الرغم من إسلامهم وكذلك البربر الذين شعروا بان العرب يتعالون عليهم ويعاملونهم معاملة الأسياد للعبيد ومن ثم اشتعلت الفتنة البربرية في المغرب والأندلس حتى إذا ماتم القضاء على هذه الفتنة ثارت الفلاقل بين العرب الحجازيين البلديين أو عرب الشام.[1]

[1] محمد زكريا عناني : في الأدب الأندلسي - جامعة الإسكندرية - دار المعرفة الجامعية -2003 ، ص17

2- عصر الإمارة الأموية ومرحلة الخلافة حتى قيام دويلات ملوك الطوائف :

ويبدأ هذا العصر مع استيلاء (عبد الرحمان الداخل) على تقاليد الأمور سنة (138ه) ففي هذه السنة أي بعد فترة وجيزة من سقوط الدولة الأموية في المرق نجح هذا الأمير الأموي في الفرار إلى الغرب ودخل إلى الأندلس فالتف حوله أنصار بني أمير ونجح في الاستيلاء على قرطبة ،ومضى يوطد أركان ملكه على مدى أكثر من ثلاثين سنة ،ومن ثم لقب ب(صقر قريش) لأنه عبر البحر وقطع القفر وجند الأجناد ودون الدواوين ونال ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره وقوة شكيمته كما قال عنه (أبو جعفر المنصور)بحسب ما نقل (لسان الدين الخطيب)في كتاب *أعمال الأعلام* وبغض النظر عن الكفاءة السياسية والحربة لعبد الرحمان الداخل ،فان التاريخ يسجل له الاعتناء بالجوانب الحضارية فقد اهتم بتجميل القرطبة وبنى في شمالها الغربي قصر اسماه الرصاقه على غرار قصر جده هشام بن عبد الملك في بادية الشام وحدد مسجدها الجامع فضلا عن انه كان أديبا شاعرا.[1]

وقد توالى على عرش قرطبة عدد من الأمراء من نسل الداخل أولهم ابنه (هشام الرضا)سنة (172)ثم (الأمير الحكم)سنة (180)ثم (عبد الرحمان الثاني)سنة (206)وفي عهده بلغ الترف في قرطبة درجة عالية من الرقي،وأصبحت تنافس بغداد في هذا المضمار خاصة بعد أن نقل إليها زرياب الموسيقى ولا تزال آثار موسيقاه ماثلة في الحان أهل المغرب حتى اليوم،وكان زرياب شخصية اجتماعية واحد سلاطين فن الذوق والسلوك فعلم الأندلسيين طريقة الترتيب في تقديم الأطعمة وابتكر في الأزياء والألوان وقد نافس بعض أهل الأندلس على زرياب هذه المكانة التي احتلها ومن هؤلاء الشاعر (يحي بن الحكم القرال) وقد مرت

[1] - المرجع السابق ، ص18

الأندلس بعد وفاة عبد الرحمان الثاني بفترة اضطرابات وتكونت دويلات كثيرة هنا وهناك وظهر عدد من الثوار وأهمهم (عمر بن حفصون)ولكن قيض الله للإسلام هنا أميرا بطلا هو(عبد الرحمان الثالث الناصر) والذي حكم البلاد خمسين عاما (300–350) بلغت درجة رفيعة من الاستقرار والرخاء وعلو الشأن في ميادين العلم والثقافة كافة وفي سنة (316)سمي عبد الرحمان الناصر بالخليفة واستمر ذلك من بعده إلى سقوط البيت الأموي في الأندلس كما أنشا مدينة الزهراء شمال قرطبة وقد تولى من بعده الحكم الثاني (المنتصر بالله) وكان ملكا حكيما محبا للكتب وفي عهده وفد (أبوعلي القالي)على الأندلس فكان من عوامل نشاط الحياة الثقافية في الأندلس والحكم هذا آخر الملوك الأمويين الأقوياء إذ تولى من بعده ابنه (هشام الثاني المؤيد بالله)وكان صغيرا غرا مما حدا بالحاجب (أبو منصور العامري)سنة (397)لان يستبد بالأمر

ويتولى بحنكة إدارة سفينة الأندلس التي كانت الأخطار تحدق بها من كل جانب إلى أن توفي سنة (392) ثم كان ما كان من أمر ابنه عبد الرحمان (شنجول) الذي طمع في الخلافة فكان في ذلك نهايته ونهاية البيت الأموي معا.[1]

3– دول ملوك الطوائف :

بعد التعاقب على عرش الدولة الأموية من الأبناء والأحفاد،اخذوا يستبدون بالحكم لتنوع أجناسهم وشدة تنافرهم فعملوا على هتك المجد والفتك بها حتى أصابهم داء الأمم فتفرقوا وتمزقوا،وانحل ملكهم إلى دويلات صغيرة عرف أصحابها بملوك الطوائف حيث أصبح لكل مدينة أو إقليم حاكمه المستبد بالأمر فيه ومن ابرز هؤلاء الملوك:

[1] - المرجع السابق ، ص18

*بنو عباد:وحاضرتهم اشبيلية ودام ملكهم نحو سبعين سنة وامتد نفوذهم إلى قرطبة وغيرها .

*بنو جهور: وكانت عاصمتهم قرطبة،وحكموا قرابة أربعين سنة إلى أن استولى بنو عباد على دولتهم .

*بنو هود :وحاضرتهم قسطله،وحكموا سبعين سنة [1]

فكان عهدهم عهد اضطراب وتفكك وعهد فتن وحروب،وكثر التنافس وأصبح على أشده بين ملوك هذه الدول فضلا على عودة حركة الاسترداد النصراني التي رفع لوائها آنذاك.ولكن على الرغم من هذا التمزق السياسي الخطير الذي كان يؤذن باسوا العواقب إلا أن الحياة الثقافية شهدت في ظل هذه الانقسامات انتعاشا ضخما غذته المنافسة بين هؤلاء الأمراء والتهافت على الشهرة وحب الاستماع إلى مدائح الشعراء فيهم،فهو انتعاش عارض لم يستند إلى دوافع دينية أو قومية أو فكرية حقيقية وقد أحسن ابن رشيق عندما قال فيهم:

مما يزهدني في ارض أندلس أسماء معتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاضا صولة الأسد

4- دولة المرابطين أو (الملثمين) :

لدولة المرابطين تاريخ طويل بالغ التعقيد والغموض،إذ يبدأ في تلك المناطق الإفريقية المجهولة الشاسعة في الشمال الغربي من إفريقيا فيما يعرف اليوم بصحراء شنقيط (بموريتانيا) ووسط قبائل البربر المعروفين باسم صنهاجة ومن أهم فروعها لمتونة ومسوفة وجداله وكان هؤلاء يتلثمون وبذلك اختلفوا عن

[1] ساندر قوابي : مخطوط الصنعة البديعية في شعر خاتمة الأنصار ي ص14.

الصنهاجيين الشماليين مثل بني زيري الذين حكموا المغرب الأدنى والأوسط وغرناطة في فترة من الزمن ،وقامت هذه الدولة سنة (184ه-1091م) حيث كانت تبعث الدين الإسلامي وترسخه من جديد،فبعد أن استنجد رؤساء الطوائف ب يوسف بن تاشفين حاكم دولة المرابطين ودعاة أهل الأندلس حتى يكونوا يدا واحدة للتصدي للعدو ،فانقد يوسف دولة الأندلس وقرب مابين أهلها وأهل المغرب تحت ظل دولة واحدة ،ثم ما لبث ا ن أدب التحاسد والتباغض بين ملوك الطوائف وعاودتهم الفرقة

والشقاق ،مما أدى إلى ضعف دولة المرابطين في عز شبابها .[1]

5- دولة الموحدين :

ولدولة الموحدين بداية غامضة شيئا ما،ولكن خطوطها العامة معروفة على كل حال ،وربما تمثلت هذه البداية بصورة أساسية فيما تسلل إلى كيان المرابطين من وهن وفساد ،وما كان يعج به المغرب والأندلس من اضطرابات وفتن وتيارات فكرية واجتماعية وعسكرية وروحية متصارعة متلاطمة.وكان يتزعم هذه الدولة (محمد بن تومرت)سنة (1146م) الذي اشتهر بالزهد والعلم والشجاعة ،وكثرت المعارك بين دواة الموحدين وبين الدولة المندثرة وانتشرت الفتن والانقلابات .

وكان من البديهي للدولة الموحدية بعد أن تمكنت من سحق المرابطين في المغرب أن تتجه إلى استئصالهم في الأندلس ،وكان أمرها موزعا بين هذه الزعامات الإسلامية وبين أطماع ملوك الفرنجة الذين أضرموا حروب الاسترداد وساعدهم عليها ما اعتزت أهل الأندلس من خلل وطماع وثورات أدت إلى سقوط طليطلة مبكرا سنة (478ه).

[1] - المرجع السابق ، ص21-22

ابن الأبار البلنسي (595–658ه)(1198–1260م) :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمان بن احمد بن أبي بكر القصاعي البلنسي اشتهر بلقب ابن الأبار،وهو لقب أصيل كان أجداده يحملونه ويعرفون به وكان يوقع بعض رسائله به .

ولد ابن الأبار في مدينة (بلنسية) التي أنجبت كثيرا من العلماء والشعراء والشخصيات وذلك في فجر يوم جمعة في احد شهري الربيع سنة 595ه/يناير1198م.

نشا في بيئة تمتاز بجمال الطبيعة وبين أهل عرفوا بحسن الطباع وكرم النفوس وأناقة الأزياء ،وفي جو علمي مثقف.كان والده من علماء بلنسية حيث اهتم بتوجيه ولده وحرص على أن يوفر له كل الظروف لطلب العلم ومن ذلك انه كان يصطحبه معه على مجالس العلم وزيارة العلماء.

عرف ابن الأبار بالجد والمثابرة والبحث والاستقصاء ولم يقتصر في الأخد عن شيوخ بلنسية ورقي الأندلس بل نراه يقوم بمرحلة علمية عبر بعض المدن الأندلسية للدراسة والأخد وذلك أثناء حياة والده.

عاد إلى بلنسية عند ما بلغه نعي والده،وخلفه في مكانته لدى أبي ربيع الكلاعي الذي استأثر ابن الأبار بإعجابه وحبه حتى أصبح اقرب تلامذته وأحب طلابه،وأعظم آثاره انه مدين له في حياته العلمية والسياسية فهو الذي اقترح عليه تأليف بعض الكتب وزوده بأصول مهمة ومواد نادرة ،كما ألحقه بحكم بلنسية وهو لا يزال شابا يافعا.[1]

[1] ابن الأبار،ديوانه،تحقيق عبد السلام الهراس، دار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ط2 ص112

الفصل الأول

أ– تمهيد :

1– رثاء المدن :

- مدينة طليطلة .
- مدينة اشبيلية .

رثاء المدن :

أ -**تمهيد :** لقد كان هذا الغرض في الأندلس من أهم الأغراض الشعرية إذ كان مواكبا لحركة الإيقاع السياسي راصدا أحداثه مستنبطا دواخله ومقوما لاتجاهاته .إذ كان محوره الأول يدور حول سلبيات المجتمع الأندلسي بسبب ما انغمس فيه الناس من حياة اللهو والترف والمجون وانصراف إلى الجهاد وان الأمر لن يستقسم إلا برفع علم الجهاد تحت راية "لا اله إلا الله ".ومن هنا فان الصوت الشعري لرثاء المدن والممالیك في الأندلس يخالف الأصوات الشعرية الأندلسية الأخرى التي ألفها أهل الأندلس في الموشحات ووصف الطبيعة والغزل وبقية الأغراض الأخرى .

ويلفت النظر أن عددا من قصائد رثاء المدن والممالیك في الأندلس هي لشعراء مجهولين .ويسفر دلك إما بخشيتهم من السلطان القائم بسبب نقدهم للأوضاع السياسية وإما أن عنايتهم بالحس الجماعي واستثارته كانت من عنايتهم بدواتهم الشاعرة .

ويقوم هذا الرثاء على المقارنة بين الماضي والحاضر ماضي الإسلام في مجده وعزه وحاضره في ذله وهوانه فالمساجد غدت كنائس وبيعها للنصارى وصوت النواقيس أضحى يجلجل بدل الآذان ،والفتيات المسلمات انتهكت أعراضهم والدويلات المسلمة تستعين بالنصارى في تدعيم حكمها .وتمتلئ كل هذه النصوص بشعور ديني عميق يطفح بالحسرة والندم .[1]

---

[1] عمر فروخ – تاريخ الأدب العربي " الأدب في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين " الجزء الخامس – دار العلم للملايين بيروت ، ط1 ، كانون الثاني 1982 ، ص85 .

1- طليطلة: من بين المدن التي كثر رثاؤها مدينة طليطلة التي سقطت في أواخر القرن الخامس هجري حيث كانت بداية المأساة فهي أول بلد إسلامي يدخله الفرنجة وكان ذلك مصابا جللا هز النفوس هزا عميقا وفي هذا الصدد نجد شاعرا مجهولا يكتب قصيدة بلغت حوالي سبعين بيتا تصور حال المسلمين عشية سقوطها وما أصابهم من ذل وصغار كما تصور ماضيها المجيد وحاضرها المهين وتنتهي بأمنية منتهات أن يخرج من أصلاب المسلمين بطل كطارق بن زياد يعيد الأمر إلى نصابه.[1]

يقول هذا الشاعر في مطلعها :

لثكلك كيف تبتسم الثغور سرورا بعدما سبت ثغورا

طليطلة أباح الكفر منها حماها إن ذا نبأ كبير[2]

فهنا الشاعر يصف الحزن الكبير والمأساة التي تعيشها طليطلة وكيف أن الأقوام قصدت ابتسامتها بسبب الأوضاع السيئة التي تعيشها طليطلة في ظل سيطرة الإفرنج والأحزاب الذي حولها إليه .

ويقول في مقطع آخر من نفس القصيدة

الم تك معقلا للدين صعبا فدى لله كما شاء القدير

واخرج أهلها منها جميعا فصاروا حيث ساء بهم مصير

---

[1] أحمد هيكل الأدب من الفتح إلى سقوط الخلافة – دار المعارف 1982 – القاهرة ، ج،ع،م .

[2] عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ص86 .

وكان دار إيمان وعلم معالمها التي طمست تنير

مساجدها كنائس أي قلب على هذا يقر ولا يطير

فيا أسفاه يا أسفاه حزنا يكرر ما تكررت الدهور [1]

يصف الشاعر هذا المقطع الأوضاع السيئة والخراب الذي آلت إليه طليطلة وصفا دقيقا مع تعداد هذه الأوضاع من إخراج الأهالي من ديارهم وتهجيرهم وتحويل المساجد إلى كنائس وطمس مختلف المعالم الحضارية الأندلسية حيث تأسف الشاعر لهذا الوضع المزري الذي وصلت إليه البلاد.

ثم يختم مرثيته بهذه الأمنية

ألا رجل له رأي أصيل به مما نجادر نستجير

يكر اذ السيوف تناولته وأين بنا إذا ولت كرور

ويطعن بالقنا الأخطار حتى يقول الرمح من هذا الخطير[2]

وفي هذا المقطع يتمنى الشاعر بان يأتي رجل قوي دو عزم كي يوقظ العباد ويصلح حال البلاد ويعيد مجد طليطلة من جديد.

ولقد كانت طليطلة صدمة كبرى أصابت المسلمين في الأندلس بالذهول الذي ما لبث أن ترجم الحقيقة المريرة التي عبر عنها الشاعر عبد الله بن فرج اليحصبي

[1] شوق ضيف الرثاء دار المعارف بمصر 1955 ، ط2 .ص 115

[2] المصدر نفسه .ص 116

المشهور بابن الغسال تعبيرا مثقلا بالشؤم متنبئا بغروب شمس الأندلس ومنطقه يكمن في هذه الأبيات التي كانت مخيفة لمن سمعها من معاصريه[1]

يا أهل أندلس شدوا رحالكم   فما المقام بها إلا من الغلط

للسلك ينثر من أطرافه وارى   سلك الجزيرة منثورا من الوسط

من جاور الشر لا يأمن عواقبه   كيف الحياة مع الحياة في سقط

ويمضي الشاعر مستنكرا سقوط المدينة الحصينة منعطفا على المشاعر الدينية مظهرا ما أصاب المدينة من تحول ديني ،فبعد أن كانت دار إسلام تحولت إلى دار نصرانية ،وأما مساجدها فقد صارت كنائس بين عشية وضحاها وأما أهلها فقد صاروا بلا مأوى مشردين :

الم تك معقلا للدين صعبا   فدى لله كما شاء القدير

واخرج أهلها منها جميعا   فصاروا حيث شاء بهم مصير

وفي صراحة صادقة مريرة يعمد الشاعر إلى التفريغ والتوبيخ ذاكرا أسباب السقوط أي امة واحدة على الدوام ،إن لم تكن متطابقة على التمام فهي متشابهة متقاربة ،أن من أسباب سقوط طليطلة حسب ما ذكر الشاعر في قصيدته فساد وانتشار الظلم والجور والمصادرات وشيوع الفاحشة بين الناس ،وتعفن المجتمع الانحلال والإقبال على الشهوات واقتراف المعاصي وخور الحكام وتفرقهم فيحدد الشاعر كل ذلك ويفصله هادفا إلى التفريغ غير بعيد عن النغمة الشعرية

وكان بنا بالقناة أولى   لو انضمت على الكل القبور

[1] المقري "أحمد بن محمد " نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – دار الكتاب العربي – لبنان ، ص84 .

لقد سخنت بحالتهن عين وكيف يصبح مغلوب قرير ؟

2- اشبيلية : تعد مدينة اشبيلية من أهم دول الطوائف كلها وأعظمها شانا وأقواها عدة وشكيمة فمع تفوقها العسكري السياسي وموقعها الجغرافي فقد علا فيها شان العلم والعلماء والأدب والأدباء وهذا ما جعل ملوكها أشهر الملوك وشعراءها أفحم الشعراء .

ومن أهم مراثي اشبيليا قصيدة أبي بكر بن عبد الصمد في رثاء هذه المدينة وأميرها المعتمد بن عباد ،يقول في احد مقاطعها : [1]

ملك الملوك أسامع فأنادى أم قد عدتك عن السماع عوادي

لما خلت منك القصور ولم تكن فيها كما قد كنت في الأعياد

قد كنت احسب أن تبدد ادمعي نيران حزن أضمرت بفؤادي

في هذا المقطع يصيح الشاعر وينادي الأعداء الذين قتلوا الملك بن عباد وفتكوا باشبيلية أنهم افرغوا المدينة بعملهم هذا من كل ما هو جميل وأفسدوها وقلبوا أفراحها أقراحا .

ثم انتقل ليعبر عن مدى الأحزان والأسى للذين تركوهما في قلب الشاعر حتى أن أدمعه لم تستطع التوقف عن السيلان ، ولما سقطت اشبيليا في 05 شعبان 646ه/23نوفمبر 1248م على يدي فرنالدوا الثلث ملك قشتالة كان الشاعر ابن الابار يعيش في تونس اتحد من هذه النكبة مناسبة للدعوة إلى الجهاد،وانه آن الأوان لفتح جديد في الأندلس على غرار ما قام به المرابطون والموحدون سيما

[1] المصدر السابق .ص 86

وان اشبيلية تابعة لسلطة الحفصية لذلك فأمر بتحريرها من واجبات ابن زكرياء قال الشاعر ابن الأبار محادثا الأمير الحفصي[1]

أدنت لأرض العدى فافتتاح هل وراء الليل غير الصباح

إن لتوحيد غرما صحيحا يوسع التثليث كر اكتساح

ويساقي الصقر خمر المنايا بالصعاد السمر أو بالصفاح

وعدت أندلس منه بيوم هي استقباله في ارتياح

كل أزم قبله وانبهام لانقراح بعده واتضاح

إن يكن عيد النحر وذبح كيف شاءت فأعادى أضاحى

الشاعر يرى انه لا عذر للحفصيين يمنعهم من الإقدام على الجهاد ،فالأمن مستتفب في كافة الأقاليم الحفصية من طرابلس شرق تلمسان غربا وكل القبائل دخلت تحت طاعتهم ،ثم إن المجد الأنبل ليس له أن يضيع فلا بد من تزمنته وصونه من الضياع :

هذه الحرب استكانت وكانت في التغاضي مثلا والجماح

دولة حفصية في اقتتال وعلى مهدي في طماح

منتهاها في غدي بن كعب ودارها في الليان الصراح

والشاعر في قصيدته مدح فيها أبا زكريا يصف عبور الأسطول الحفصي البحر إلى العودة الأندلسية لنجدة اشبيلية (حمص) وغيرها من البلاد الأندلسية ولم تثبت

[1] إبن الأبار ، ديوانه ، ص331

المصادر التاريخية هذا العبور ولا المجابهة بين الحفصيين النصارى وربما ذكر دلك الشاعر من باب التخيل باعتبار ما يطوق إلى تحقيقه الواقع .[1]

دع أساليب النسيب وخد   في أساطير الأساطيل

أخوات الخيل سالحة   ذات تزيين وتزييل

لاتزال العجم وتعجمها   هي تعجيز وتعجيل

حلقت محتلة بهم   شر تحليق وتحليل

سلبت بحر مجاز بما   طربت كالنبل للنبيل

عزمها والدم بالعدوى   بين تجديد وتجديل

ما الو القران إن صدقوا   عزمهم من جيل إنجيل

هذا كان من بعض الشعراء الذين اهتموا وخصوا رثاءهم لمدينة واحدة لكن هناك من جمع عدت مدن ورثاها في قصيدة واحدة مثل ما فعله الشاعر أبي البقاء الرندى في نونيته الشهيرة فهي واسطة العقد في شعر رثاء المدن وأكثر نصوصه شهرة وأشدها تعبيرا عن الواقع .فهي ترثي الأندلس في مجموعتها فتصور ماح لبها في خطوب جليلة لاغراء ولا تأسي دونها وكيف ضاعت قرطبة دار العلوم واشبيليا مهد الفن وحمص مهبط الجمال،وكيف سقطت أركان الأندلس واحدة تلو الأخرى ،وكيف اقفرت الديار من الإسلام فصارت المساجد كنائس وغدا صوت

[1] المصدر السابق ، ص233 .

الآذان صوت ناقوس؟،ثم يهيب أبو البقاء الرندي بفرسان المسلمين يقول في أول القصيدة :[1]

لكل شيئا ذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

وللحوادث سلوان يسهلها وما سما حل بالسلام سلوان

اشتمل الشاعر في هذا المقطع بحكمة مفادها أن الشيء مهما عظم فماله الزوال فلا يغر أي كان مهما كان ذو جاه وعظمة لأنه سيأتي يوم يفقد كل شيء مثل ماهو الحال في الأندلس فرغم ما كانت عليه من قوة وثراء وعظمة وسيطرة إلا انه جاء وقت فقدت كل شيء وسقطت واندثرت كل دويلاتها .

ويقول في مقطع آخر من نفس القصيدة : [2]

فاسأل بلنسية ما شان مرسية فأين شاطبة وأين جيان ؟

وأين قرطبة دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شان

وأين حمص وما تحويه من نزه ونهرها الذب فياض وملأن

قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركان

حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهن لا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المنابل ترثى وهي عيدان

[1] المصدر السابق ، ص456 .

[2] ا المصدر نفسه ، ص457 .

يعدد الشاعر في هذا المقطع بعض المدن الأندلسية التي ضاعت وهدت أركانها وكيف آلت كل معالمها إلى خراب تام متحسرا في الوقت ذاته على هذا الوضع الرديء والمحزن الذي وصلت إليه البلاد الإسلامية وكيف تحولت فيه المساجد إلى كنائس تدق الأجراس بدل الآذان .[1]

ويقول في مقطع آخر :

أين الملوك ذوو التيجان من يمن وأين منهم أكاليل تيجان

وأين ما شاده شده في ارج وأين ما ساسه في الفرس ساسان

وأين ما حازه قارون ما ذهب وأين عاد وشدان وقحطان

يواصل الشاعر في هذه الأبيات التذليل على ما ذكره سابقا عن زوال نعم الدنيا وان دوام الحال من المحال فيتساءل أين ذهب أصحاب الممالك السابقة من الملوك الذين حكموا الأرض أصحاب الطول الذين لبسوا التيجان والأكاليل ويذكر أمثلة عما قاله (ارم ذات العماد) ويقول الشاعر متعجبا أين ما أتاه وشاده هؤلاء وأين ما حكمه وخصصه الفرس وأين إيوان كسرى وقصره العظيم .

ومما قاله :

دار الزمان على دارا وقاتله وأم كسرى وقصره العظيم

ففي هذا البيت يسلي الشاعر نفسه ويعزيها عما خلى بديار المسلمين من دمار وتخريب لياخد المسلمين العبرة من ذلك ويتعظوا بما حدث فيقول أن هذا الأمر ليس غريب فقد دار الزمن وانقلب على دارا وقاتله وكسرى الذي أم الناس

---

[1] محمد بن لخضر فورار ، الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية رسالة ماجيستر 1995 (مخطوط بجامعة قسنطينة) ص192

وتولاهم ولكن لم يحميه ايوانه وقصره العظيم من كيدهم ،يريد من هذا أن يقول أن ضياع المسلمين في الأندلس ليس غريبا فقد حصل ذلك للعديد من الملوك والمماليك .

وفي مقطع آخر يقول :[1]

وللحوادث سلوان يسهلها   وما لما حل بالإسلام سلوان

دهى الجزيرة أمر لا غراء له   هوى له احد وانهد ا ثهلان

يذكر الشاعر أن كل المصائب يمكن الصبر عليها وتحملها لكن ما حل بالأندلس ليس له صبر ولا يمكن تحمله ويدلل الشاعر على ما قاله ويصور حجم وهول المصيبة وشدتها لدرجة تصدع الجبال الراسيات (احد ثهلان)

ويختم الشاعر قصيدته بهذا المقطع الحزين

لمثل هذا يذوب القلب من كمد   إن كان في القلب إسلام وإيمان[2]

ففي هذا المقطع نغمة شجية حزينة تعبر عن الأسى العميق والتماس الموعظة والعبرة فيما حل بالأندلس .

ومن هنا تظهر أهمية رثاء المدن انه يكشف عن جوانب ثرية من التاريخ السياسي للمسلمين والنصارى في الأندلس،كما يكشف جانبا من النقد الذي واجه به الأندلسيون أنفسهم حيث أدركوا أن الانغماس في حياة اللهو والترف أدى إلى

[1] أحمد عقون ، رثاء المدن والمماليك الزائلة في الشعر العربي القديم . رسالة ماجستير 1995 .مخطوط بجامعة قسنطينة ، ص216 .

سقوط راية الجهاد وان ملوك الطوائف حين حرصوا على ملكهم الفردي أضاعوا ملكا أعظم .

الفصل الثـاني

1- رثـاء الممالك :

. مملكة بنو عباد .

. مملكة بنو الأفطس .

- رثاء الممالك :

1 – بنو عباد : نشأت عدة ممالك في الأندلس ومن بينها مملكة بن عباد سنة 727ه على يد قاضي اشبيلية إسماعيل بن عباد الذي استغل حالة الفوضى بالأندلس فاحكم قبضته على اشبيليا وظل يعمل على تقوية الوضع الداخلي لها مع تجنب الصدام مع الجيران ثم تولى الحكم بعده ابنه المعتمد وكان دمويا فظا ظالما دائم المحاربة لجيرانه .ثم تولى بعده الحكم ولده المعتمد وكان شاعرا فارسا جوادا له كثير من فضائل العرب ولكنه كان هائما في اللذات من خمر وكل صفاته كان لابد أن تقود المملكة إلى الزوال فبعدما أحس المرابطون أن سبب ضعف الأندلس هو ملوك الطوائف وانغماسهم في حياة اللهو والمجون أفتى بوجوب محاربتهم وإسقاط مماليكهم الطبيعية وقرر يوسف ابن تاشفين أن يبدأ بمملكة ابن عباد في اشبيليا لأنها اكبر مملكة وأميرها المعتمد بن عباد هو عميد هؤلاء الأمراء الفاسدين شن المرابطين حرب ضارية على المملكة فسقطت في 22رجب484ه وزالت

تلك المملكة فرثاها العديد من العراء أبرزهم أبو بكر بن اللبانة قائلا :[1]

تبكي السماء بمزن رائع غادي على البهاليل من ا بناء عباد

على الجبال التي هدت قواعدها وكانت الأرض منهم ذات أوتاد

وكعبة كانت الآمال تخدمها فاليوم لاعاكف فيها ولا باد

يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

ويا مؤمل واديهم ليسكنه جف القطين وجف الزرع بالوادي

وأنت يا فارس الخيل التي جعلت تحتال في عدد منهم و أعداد

[1] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ص85

القي السلاح المشترى فقد أصبحت في لهوات الضيم العادي

يريد الشاعر أن يقول بأنه حتى السماء بكت مطرا ليل نهار على الأسياد الجامعين للخير من بني عباد وعلى كل المعالم الراسخة التي هدت وخلت من المقيمين باكيا في الوقت نفسه على الضيف الذي فقد مضيفه والمؤمل الذي لن يجد واد يسكنه والفارس الذي أصبح لقمة صائغة في فم العدو .

ويقول في مقطع آخر :[1]

لما دنا الوقت لم تخلف به عدة وكل شيء لميقات وميعاد

كم من درارى سعد قد هوت ووهت هناك من درر المجد أفراد

أن يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا وقد حلت قبل حمص ارض بغداد

حموا اجر يمهم حتى إذا غلبوا سيقوا على نست في حبل معتاد

يذكر الشاعر بان كل شيء مهما بلغت عظمته آل إلى الزوال يوما ما وان بن عباد ليسوا أول قوم خلعوا قبل عباس خلعوا من قبلهم عن عرش بغداد .

ويقول أيضا :[2]

لكل شيء من الأشياء ميقات وللمن من مناياهن غايات

والدهر في صيغة الحرباء منغمس ألوان حالاته فيها استحالات

ونحن في لعب الشطرنج في يده وربما قمرت بالبيدق الشاة

فالنقص بديلا في الدنيا ساكنها فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا

[1] المصدر السابق ص ، 86 .

[2] المصدر نفسه ص 86 .

وقل لعالمها السملى قد كتمت سريرة العالم العلوي اغمات

عاد الشاعر مرة أخرى ليتحدث عن الميقات وان كل شيء آل إلى الزوال وان الكثير من الأمنيات كان مآلها الموت ،ثم عبر عن عظمة بن عباد حيث شبههم بالشاة وهو الملك في لعبة الشطرنج وليدل على صغار عدوهم شبهه بالبيدق وهو اصغر حجر في لعبة الشطرنج وذكر انه يمكن حتى للأمور الصغيرة أن تقضي على أمور كبيرة كحال بن عباد والمرابطين وقال أيضا :[1]

وكان ملا عيان العين تبصره وللاماني في مرعاه مرعاة

وأنكرت إلا التواءات القيود به وكيف تنكر في الروضات حياة

يشيد الشاعر هنا بحكم بن عباد وبأنه كان آمنا وعرف ازدهارا ثم يصف حالته في السجن ويشبه المعتمد بن عباد بالروض وما فيه من أزهار وأثمار وشبه قيوده بالأفاعي وكل إنسان يستطيع أن يرى الفرق بين الأفعى وبين النبات .

- **بنو الأفطس :** ومن المماليك التي ظهرت في الأندلس وزالت على يدي المرابطين مملكة بني الأفطس وهو من سلالة حاكمة من دول الطوائف في الأندلس تنسب إلى مؤسسها عبد الله بن محمد بن مسلمة المعروف بابن الأفطس عمل في خدمة سابور العامري احد صبيان فائق الخدم فتى الخليفة الأموي المستنصر بالله الحكم الثاني (350-366ه)وقت انحلال الدولة ،بعد وفاته.

استبد ابن الأفطس على الحكم واستمر في حكم المنطقة الغربية في الأندلس حتى وفاته (437ه) ونشا بينه وبين بن عباد في اشبيليا نزاع دام إلى الجيل التالي وبعد وفاته خلفه ابنه المظفر الذي تجدد في عهده الصراع مع بني عباد ثم حكم

[1] المصدر السابق، ص87 .

بطليوس بعد وفاة المظفر بن الحاجب ثم حكم بعده الأخ المتمرد عمر الذي لقب بالمتوكل بعد كل هذا سقطت مملكة بن الأفطس في يد المرابطين وقد خلد بن

الأفطس بقصيدة رثاء نظمها شاعر المتوكل عبد المجيد بن عبدون حيث يقول في مطلعها :[1]

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور

أنهاك– أنهاك– لا أبوك موعظة عن نومه بين باب البين والظفر

فالدهر حرب وابن أبي مسلمة فالمبيض والسمر مثل البيض والسمر

فلا تغرنك من الدنيا نومتها فما صناعة عينيها سوى السهر

شيء سيصبح فيما بعد مجرد صور وأشباح داعيا الإنسان أن لا ينام مطمئنا فلا يدري متى ستأتيه مصيبة تقلب حياته رأسا على عقب فالزمن وان بدا هادئا فانه يخص لك ما لا تتصوره وتتمناه فلا تغتر بما أنت فيه فدنيا بعينها تكون دائما ساهرة ترقب وان بدت لك نائمة .

ويقول في مقطع آخر :[2]

فلا تغرنك من دنياك نومتها فما صناعة عينها سوى السهر

ماللیالي؟ أفال الله عثرتنا من الليالي وخانتها به الغير

تسر بالشيء لكن كي تغربه كالا يم نار إلى الجاني من الزهر

[1] محمود حسن أبو ناجي ، الرثاء في الشعر العربي أو جراحات القلوب ط2 بيروت لبنان ، 185.

[2] عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ص 195 .

فالشاعر هنا تساءل ماشان الدنيا تصبنا كل حين مصيبة داعيا الله لن ينجينا من هذه الهموم والغموم ثم يعود الشاعر ليذكرنا بان الدنيا تدعك تعيش في اطمئنان وسعادة لكن في لحظة غفلة منك تدمرك وتاخد كل شيء كحال الجاني الذي يمد يده لقطف الأزهار بعد أن يغريه منظرها الجميل لكن ما يلب ثان يهجم عليها الثعبان المختفي تحتها

ويقول في مقطع آخر : [1]

كم دولة ولت بالنصر خدمتها ... لم تبق منها دو سلا ذكراك من خبر

واسترجعت من بني ساسان ما وهبت ... ولم تدع لبني اليونان من اثر

وألحقت أختها طمسا وعاد على ... عاد وجرهم منها ناقض المرر

ومزقت سبا من كل قاضية ... فملتقى رائح منهم بمبتكر

وانفدت في كليب حكمها ورمت ... مهلهلا بين سمع الأرض والبصر

ولم ترد على العليل صحته ... ولأثنت أسد عن ربها حجر

ودوخت آل دبيان وإخوتهم ... عبسا وغصت بني بدر على النهر

وأهلكت ايروبزا بابنه ورمت ... بيزدجرد إلى مرو فلم يجر

ومزقت جعفر بالبيض واختلست ... من هيلة حمزة الظلام للجرز

رفضت شبب عثمان دما وخطت ... إلى الزبير ولم تستحي من عمر

إلى أن يقول :[2]

وأشرقت جعفرا والفضل ينظره ... والشيخ يحي بريق الصارم الذكر

[1] المصدر السابق ص196 – 197

[2] المصدر نفسه ص 197

وأوثقت في عراها كل معتمد وأسرفت بقذاها كل معتذر

وروعت كل مأمون ومؤتمن وأسلمت كل منصور ومنتصر

أراد الشاعر في هذه الأبيات أن يؤكد صحة كلامه بان الدنيا غادرة وأنها تعطيك سعادة زائفة ماتلبث تأخذها وقدم في دلك أدلة كثيرة بدأها بدارا وهو اسم لثلاثة مشاهير ملوك فارس دار الأول انتصر في معارك كثيرة ووحد الإمبراطورية وقام بإصلاحات كثيرة ثم انهزم في معركة ماراثون في بلاد اليونان ودار الثاني هوقتل أخا له من أبيه وحدث في أيامه اغتيالات كثيرة وبعدها توفي هو أيضا (330) ،دار الثالث حاربه الاسكندر المقدوني وبعدها قتله احد ضباطه ،وثلاثتهم كانوا أقوياء لا احد يتغلب عليهم ثم تحدث عن بن ساسان الدين سلب الفرس ملكهم التي كانت قد منحتهم إياه وقضت على ملوك اليونان طسم وعاد وجرتهم الى القبائل العربية المنقرضة ثم يتحدث عن أهل سبا بعد انفجار سد مأرب فتفرقوا في جميع نواحي الأرض وكذا كليب الذي ساد قومه في العشرين من عمره ثم قتله جساس غدرا فأثار المهلهل حرب البسوس التي دامت 40سنة ثم إن المهلهل اعتزل الحرب وترك أرضه ولم يعرف احد بعد ذلك ما حدث له ،أما امرؤ القيس فقد مات شابا في محاولته استرجاع ملك أبيه عند أنقرة في آسيا الصغرى أما حجر والد امرئ القيس والملك علي بن أسد الدين ثاروا عليه وقتلوه ،وكما يقول بان الدنيا هي التي أوقعت القتل والغناء في بني ذبيان وأولاد عمومتهم في حرب داحس والغبراء وهكذا واصل الشاعر ذكر مختلف الأمراء والملوك الذين قتلوا وسابت أموالهم إلى أن يصل إلى الأمراء والخلفاء الذين لقبوا بألقاب هي المعتمد ،المقتدر ، المأمون والمؤتمن ، المنصور والمنتصر وغير ذلك من الألقاب التي تذل على السلامة والقدرة والانتصار كلهم ماتوا أو سجنوا أو قتلوا لان الحياة سنة ثابتة نتبعها ولاتهتم بأماني البشر .

ثم قال في مقطع آخر :[1]

ويح السماح ووحي البأس لو سما وحسرة الدين والدنيا على عمر

سقت ترى الفصل والعباس هامية تعزى إليهم سماحا إلى مطر

ثلاثة ما رأى العصران مثلهم فضلا ولو غرزوا بالشمس القمر

ثلاثة ما ارتقى النسران حتى رقوا ووكل ما طار من نسر ولم يطر

ثلاثة كدواة الدهر مذ نأوا عن مضي الدهر لم يربح ولم يجر

أراد الشاعر في هذه الأبيات أن يقول انه مع ذهاب عمر ،وهو عمر بن محمد المتوكل الأفطس صاحب بطليموس من ملوك الطوائف الذين قتله المرابطون مع ولديه سنة 487ه ذهب معه التسامح والبأس والقوة فقد شبهه الشاعر بالغيث في جوده وكرمه ثم انتقل لتعداد محاسنه هو وولديه فيقول بأنه ماراى الليل والنهار مثلهم فضلا فهؤلاء الثلاثة رقوا أعلى من النجوم في السماء فقد كانوا ملوك الظهر يملون إرادتهم على الأيام لكن الآن أملى الدهر إرادته عليهم .

ويقول في مقطع آخر :[2]

أين الإباء الذي ارسوا قواعده على دعائم من غر ومن ظفر

أين الوفاء الذي أصنوا شرائعه فلم يرد احد منها على كدر

من لي،ولامن بهم،إن عطلت نوب ولم يكن ليلها يفضى إلى سحر

من لي ولامن بهم،إن عطلت سنن وأخفيت السن الآثار والسير

[1] المصدر السابق ، ص198 .

[2] المصدر نفسه ص 199 .

على الفضائل إلا الصبر بعدهم سلام مرتقب لأجر منتظر

يتساءل الشاعر هنا عن مال الإباء والجود والكرم الذي أرسى دعائمه بن الأفطس وجعلوا هذه المآثر راسخة في عهدهم .ثم يتساءل مرة أخرى،لكن هذه المرة عمن سيساعده وينقده من المصائب ومن سيواسيه في محنته بغياب بن الأفطس محتارا بمن سيجهر بفضلهم بعد أن تمحى آثارهم ونتلف كتب التاريخ في حكم المرابطين فالمرابطون بالإضافة لعداوتهم مع بني الأفطس كانوا في أول الأمر على الأقل لايشجعون الشعر والثقافة .

وبصفة عامة في هذه المرثية يحس الشاعر بالكثير من الأحداث التاريخية وتقلباتها ويحكي ما أصاب الدول والمماليك من ماس ومحن متخذا من ذلك سبيلا للغطه والتأسي ،وتمتاز القصيدة على طولها بحاسة شعرية قوية وعاطفة جياشة تزاوج بين مأساة بني الأفطس الذاتية والسياسية .

المضمون

تنتمي القصيدة التي بين أيدينا إلى غرض الرثاء وهو غرض قديم،يندرج تحت طياته موضوع رثاء الدول والممالك الزائلة الذي تدور إحداثه حول نكبات العالم الإسلامي عامة وفي الأندلس خاصة .ولقد أكثر الشعراء القدامى القول فيه ووسعوا مجاله لدرجة انه أصبح غرضا قائما بذاته .وهو ظاهرة أدبية حزينة تحمل عبارات تصور حالة الهلع والفزع وألفاظ محزنة تصدع القلوب القاسية وتذبب العيون الجامدة وأفكار الشاعر بصفة عامة مؤثرة تصور انفعاله في صدق وجلاء وذلك لأنه تأثر بشدة .لما كان يلم ببلدته من خطر،فاستغاث لها ورثاها آملا من أعماق قلبه أن يبعد ما لحق بها من خطر في أسرع وقت ،ويعتبر هذا اللون من شعرالارثاء جديدا بل أن ابن الابار هو من المؤسسين لهذا اللون الشعري .

ولقد اقترح الشاعر قصيدته بلا مقدمة حيث دعا الأمير الحفصي أن يدرك خطرا الم بالأندلس ويمضي فيما يلي من الأبيات فيقدم صورة حية عن أهل الجزيرة اللذين ألمت بهم الشدائد فأتعسهم وعكرت صفوفهم وتقاسم الإفرنج نسائهم .وبعد ذلك يعرض ما يجري في بلنسية وقرطبة ويوازن بين حال الأندلس الماضي العامر بالحرية والسعادة وحالها الحاضر المنطوي على الشقاء والعذاب .وفي الأبيات التي تليها يلجا الشاعر إلى إخبارنا بما فعله النصراني حيث أزال من الأندلس المعالم الإسلامية ومحاسنها.وبعدها يمضي في مخاطبة الأمير طالبا منه إحياء معالم الإسلام التي طمسها الأعداء منتقلا إلى أبيات أخرى يمدح فيها الأمير متوسلا إليه ليلبي دعوته واصفا إياه بصفات حسنة فهو متمكن من زمام ملكه متدين ،عادل ،صاحب جود وغيرها من الصفات ،وفي الأخير يختتم الشاعر هذه المرثية بدعوة حارة لملك تونس بالتحرك وانقاد الأندلس من حقد الصليبيين .

وهي أفكار واضحة ميسورة الفهم ،فلا تعقيد فيها ولا غموض ،وهي أيضا أفكار قديمة مستقاة من التراث الإسلامي استطاعت أن تستوفي المعاني المقصودة.

الدراسة الفنية :

الأسلوب :

يتميز أسلوب الشاعر بالرشاقة والسهولة وهو مؤثر رغم بساطته يدل على التزامه بخدمة وطنه والدفاع عنه ونضج فكره وخبرته بالحياة وبأهلها .

تميزت القصيدة بمتانة الأسلوب وقوته وجمال غرضه وهو أسلوب سهل وبسيط .

العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة وطيدة ،أنها علاقة تكامل ولهذا فان هناك من الدارسين من يري بان اللفظ هو المعنى نفسه الذي يرمز إليه وليس وسيلة له .

إذ في الوقت الذي ننظر فيه إلى القصيدة لنشتق معانيها ،في هذا الوقت نحن ننظر إلى ألفاظها لا لنراها كما هي وإنما لنرى مالبسها من معان .

أما فيما يخص ألفاظ القصيدة فهي قريبة إلى الفهم وألفاظها واضحة متصلة بمعانيها وموحية بها فمثلا في قوله "حشاشتها "فهي لفظة موحية تحمل كثيرا من معاني المصائب والبلوى .

ونظرة خاصة إلى الأبيات تؤكد أن الشاعر ينتقي ألفاظه انتقاء ويصوغها في عبارات قوية موجزة تفيض بالحيوية ،وهي الفاظ قريبة للأذهان ترغب في الخير السلام للوطن وتنفر من الشر والباطل ومما نظمه الشاعر في الدعوة إلى النجدة واسترجاع الأندلس يقول :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

وهب لنا من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عزيز النصر ملتمسا

فالشاعر في هذين البيتين يستنجد بالأمير الحفصي بأن يدرك الخطر الذي ألم بالأندلس والكارثة التي ألحقت بها وأن يأتي لها بالنصر فهم ينتظرون النصر منه .

– فقد استعمل هنا الألفاظ التي يمكن أن يفهمها كل واحد ويجمعها في تراكيب سهلة غير معقدة وأن يرمي بها في مقاطع عادية ومؤثرة لذلك اتسم أسلوبه بجودة المعنى ومتانة المبنى وبالتالي فهو يضفي مسحة من الجمال ويعطيها قوة في التأثير غير أن ابن الأبار ركز في معجمه اللغوي على الكلمات العربية السهلة المأنوسة حيث يغلب التركيز على المضمون أكثر من الشكل بما يناسب الأفكار ويؤدي المعاني في سهولة ويسر وربما يعود ذلك إلى خاصية السهولة التي يتميز بها معظم شعراء الأندلس والمغرب .

وكذلك هناك سمة تتميز بها قصيدة ابن الأبار وهي الوضوح في المعاني فلا يجد القارئ أي صعوبة في فهمها وتدبير معانيها فهي تجنح إلى البساطة مثلا قول الشاعر :

طهر بلادك منهم إنهم نجس ولا طهارة مالم تغسل النجسا

في هذا البيت الشعري المعنى واضح فالشاعر يدعوا الى تطهير البلاد من الأعداء لأنهم نجس يلوثون البلاد ويفسدونها .

و تتميز قصيدة ابن الأبار في رثاء بلنسية بميزة التلوين الأسلوبي حيث يمزج بين الأسلوب الخبري ومجموعة من الأساليب الإنشائية كالإستفهام ،الأمر،النداء ، القسم .

فقد استعمل الشاعر الأسلوب الخبري من اجل تقرير الحقائق كما هي ووصف الحالة التي كانت عليها الأندلس والتي ألت إليها ومن أمثلة الأسلوب الخبري المباشر قول الشاعر :

وفي بلنسية منها وقرطبة ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا

مدائن حلها الإشراك مبتسما جذلان وارتحل الإيمان مبتئسا

فهوهنا يمدح الأمير واصفا إياه بصفات وقد جاء الأسلوب الخبري مناسبا لتقرير الحقائق ولنقل التجارب والملاحظات والشاعر من خلاله يهدف إلى إقناع القارئ والى تقرير أفكار وحقائق .

أما فيما يخص الأساليب الإنشائية فنذكر ما قاله الشاعر من خلال دعوته للأمير الحفصي وطلب النجدة منه يقول :

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا إن السبيل لمنجاتها درسا

وهب لنا من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

فهذا الأسلوب الإنشائي جاء في صيغة الأمر غرضه طلب النجدة من الممدوح .

ومثال آخر أتى في صيغة الأمر أيضا قول الشاعر :

صل حبلها أيها المولى الرحيم فما أبقى المراسي لها حبلا ولا مرسا

واحي ماطمست منه العداة كما أحييت من دعوة المهدي ما طمسا

جاء في صيغة الأمر غرضه طلب الترجي والتوسل ،طلب المساعدة .

وقول الشاعر :

واضرب لها موعدا بالفتح ترقبه لعل يوم الأعادي قد أتى وعسا

وهذه المعاني قريبة فلا يحتاج قارؤها إلى أن يغوص في دقيق المعاني .

– تشير قصيدته إلى التضامن بين الأندلسيين والمغاربة وحق كل واحد منهم أن يطلب العون من الأخر دون حرج وهو معنى واضح في البيت .

ومن ملامح البساطة والوضوح سهولة الألفاظ فهناك أمثلة لا نكاد نجد فيها كلمة غامضة :

وفي بلنسية منها وقرطبة ماينسف النفس اوما ينزف النفسا

ومن البساطة في الألفاظ والسهولة إلى البساطة في التراكيب فيجد القارئ كلاما موصوفا يؤدي معناه وكان الشاعر يتحدث بلا صفة ولا تكلف .

ولذلك لابد أن يكون الشاعر قد انتفع أيضا بلغة القران المناسبة فالقران يتلى بين المسلمين آناء الليل وأطراف النهار للتقرب من الله تعالى لذلك قد استخدم الشاعر بعض الألفاظ القرآنية من ذلك

وذلك في قوله تعالى "واضرب لهم طريقا في البحر يبسا "

وقول الشاعر :

كأنما يمتطي واليمن يصحبه من البحار طريقا نحوه يبسا .

وبعض الألفاظ في قول الشاعر :خيل الله ،الاشتراك ،الإيمان ،كنائس ــ المساجد بأمر الله دينا

تا الله ــ قد نور الله بالتقوى بصيرته ــ العدل ــ الإحسان ــ مرب ــ عبسا .

كان ابن الابار مطلعا على لغة الأقدمين وثراتهم سائرا على نهجهم ولم يخرج على سياقها ،فقد توسل في بعض الأحيان أسلوب اللغة الجزلة ومن مواطن الجزالة قوله في مدح الأمير الحفصي:

ملك تقلدت الأملاك طاعته دينا ودنيا فغشاها الرضي لبسا .

فكلمة طاعته ــ فغشاها تميزت بالفخامة والقوة وجاءت معبرة.

ومثال آخر في قول الشاعر :

طهر بلادك منهم إنهم نجس ولا طهارة مالم تغسل النجسا

وأوطئ الفيلق الجرار أرضهم حتى يطأطئ رأسا كل من راسا .

غرضه النصح والتحذير.

ــ أما فيما يخص النداء فيقول الشاعر مستعملا أداة النداء ــ يا ــ المتكررة وذلك مناسب لغرض الرثاء :

يا للجزيرة أضحى أهلها جزرا للحادثات وأمسى جدها نفسا

وقوله أيضا :

يا للمساجد عادت للعدى بيعا وللنداء غدا أثناءها جرسا .

فهذا الأسلوب الإنشائي جاء في صيغة نداء وغرضه الحسرة والتوجع وتنبيه القارئ أو السامع ونداء آخر في قوله :

يا أيها الملك المنصور أنت لها علياء توسع أعداء الهدى نفسا

غرضه المدح: حيث يمدح الشاعر الملك المنصور لقوته وبسالته على مواجهة الأعداء مهما كانت شدتهم .

وكذلك ورد أسلوب الإنشاء بصيغة الاستفهام في قوله :

فأين عيش جنيناه بها خضرا وأين غصن جنيناه بها سلسا

غرضه : التحسر:حيث تحسر الشاعر على ما آلت إليه الأندلس من أراض خضراء وقصور شامخة إلى خراب .

القسم في قول الشاعر :

تالله إن الذي ترجى السعود له ماجال في خلد يوما ولا هجسا .

جاء في صيغة القسم وغرضه : المدح :حيث يمدح الأندلسيين ويشيد بفضلهم

الصور البيانية :

هناك مجموعة من الصور البيانية في القصيدة نذكر منها :

1ـ التشبيه : "على رأي ابن رشيق يجب أن نتناول الأغراض دون الجواهر وان اقترن طرفيه إنما يتم من باب المجاز لا الحقيقة والشاعر يقارن هذا بذاك لأنهما متحدان أو يمكن أن يتحدا في صفة أو عقل" [1]

[1] إبن رشيق – العمدة ج1 – مطبعة القاهرة 1963 ، ص286

ومن أمثلة التشبيه قول الشاعر :

وفي كل شارقة إلمام بائقة يعود مأتمها عند العدى عرسا

تشبيه بليغ حيث شبه مآتم أهل الجزيرة عند العدو بالعرس .

وقوله أيضا :

سرعان ما عاث جيش الكفر واحربا عيث الدبي في مغانيها التي كبسا

حيث شبه الجيش بعيث الدبى في المغاني وهو تشبيه بليغ .

وابتز بزتها مما تحيفها تحيف الأسد الضاري لما افترسا

شبه ابتزاز جيش الكفر كتحيف الأسد الضاري في الافتراس وهو تشبيه بليغ

وقال الشاعر :

وقمت فيها بأمر الله منتصرا كالصارم اهتز أو كالعارض انبجسا

حيث شبه الأمير كالصارم في تمسكه بقراراته وتنفيذها .

الكاف أداة تشبيه ، الأمير هو المشبه ، الصارم هو المشبه به ، ووجه الشبه هو الاهتزاز وشبه أيضا بالعارض انبجسا ، فالمشبه هو الأمير والكاف هي أداة التشبيه والمشبه به هو العارض ووجه الشبه هو الانبجاس

2ـ الاستعارة :" هي تشبيه حذف احد طرفيه وانتقل مباشرة إلى الطرف الثاني سواء كان المشبه أو المشبه به"[1]

[1] جابر عصفور – الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي المركز الثقافي العربي– بيروت لبنان ط1 ، 1992 ص191 .

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر :

وحاشا مما تعانيه حشاشتها فطالما ذاقت البلوى صباح مسا

وقوله :

مدائن حلها الإشراك مبتسما جذلان وارتحل الإيمان متئسا

شبه الشرك على انه رجل مبتسم لما حققه من انتصار وحذف المشبه به وأبقى على الفعل حلها وشبه الإيمان بالرجل مبتئس لما حققه من هزيمة وهي استعارة مكنية .

وقول الشاعر :

فأين عيش جنيناه بها خضرا وأين غصن جنيناه بها سلسا

شبه العيش بشيء مادي محسوس يجني منه وحذف المشبه به وأبقى على قرينة تدل عليه جنيناه على سبيل الاستعارة المكنية وقد أضفت على المعنى جمالا ورونقا .

وقوله أيضا :

ماضي العزيمة والأيام قد نكلت طلق المحيا ووجه الدهر عبسا

شبه الدهر بالإنسان حيث جعل له وجه فحذف المشبه به وهو الإنسان وترك قرينة تدل عليه وهي الوجه على سبيل الاستعارة المكنية .

وقوله أيضا :

إلى الملائك ينمى والملوك معا في نبعه أثمرت للمجد ما غرسا

شبه المجد بالشجرة فهي التي تثمر وحذف المشبه به وهي استعارة مكنية وقد زادت المعنى قوة وتأثير وقد أضفت على النص جمالا ورونقا وهي استعارة زادت في إيضاح المعنى وتقريبه إلى الفهم .

3ـ الكناية :

"عرفها عبد القاهر الجرجاني" ـ "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ إليه دليلا ويجعله دليلا عليه ".[1]

"هي لفظ أريد به لازم معناه على جواز إرادة معناه"[2]

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، الأنيس السلسلة الأدبية ، ط2 ، 1991 ، ص105

[2] المصدر نفسه ، ص106

ــ ومن أمثلة الكناية قول الشاعر:

خلا له الجو فامتدت يداه إلى إدراك مالم تطأ رجلاه مختلسا

امتدت يداه ــ مالم تطأ رجلاه .

كناية على مدى بطش العدو وسيطرته على كل شيء.

وقوله أيضا :

ملك تقلدت الأملاك طاعته دينا ودنيا فغشاها الرضا لبسا

تقلدت الأملاك طاعته

كناية عن صفات تمدح الأمير وهي كناية عن كثرة الافتخار بالأمير ومدى قدرته.

وقوله أيضا :

تدبيره وسع الدنيا وما وسعت وعرف معروفه واسى الورى وأسا

تدبيره وسع الدنيا.

كناية تدل على حسن تدبير الملك وتحكمه بزمام الأمور .

وقال الشاعر أيضا يمدح الأمير :

فظل يوطن من أرجائها حرما وبات يوقد من أضوائها قبسا

يوقد من أضوائها قبسا

كناية عن كثرة عمل الأمير ومدى خدمته لوطنه وما قدمه له.

وقول الشاعر :

طهر بلادك منهم إنهم نجس ولا طهارة مالم تغسل النجسا

طهر بلادك منهم .

كناية تدل على مدى نجاسة العدو

والكناية تصور المشاعر والأحاسيس تصويرا بارعا بعيدا عن المباشرة مؤديا دورا عظيما في بناء قصيدة شعرية

4ـ المحسنات البديعية :

البديع ضروري في الشعر إذ تلون به الصورة الشعرية ويشكل إطارها الفني وإمكانيته في التصوير كبيرة ومفيدة وقد كانت الصفة البديعية وافرة في هذه القصيدة أكثر من الطباق والمقابلة لما لهما من توافق مع النص ومن أمثلة ذلك:[1]

ـ التضاد : وقد عبر المطابقة (الطباق) والمقابلة بأنهما تضاد .

[1] قزويني محمد عبد الرحمان ، الإيضاح في علوم البلاغة مطبعة القنسة المحمدية ، ط1 ص318

ــ المطابقة (الطباق) : قال ابن الأثير "وقد اجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده كالسواد والبياض والليل والنهار"[1]

ــ ومن أمثلة الطباق الموجودة في القصيدة قول الشاعر :

وحاشا مما تعانيه حشاشتها فطالما ذاقت لبلوى صباح مسا

بين (صباح ومسا) وقد جاء لتجلية المعنى وتأكيده وقوله

بين (أضحى وأمسى) طباق الإيجاب ليبين حال أهل الجزيرة كيف كانت .

وقول الشاعر :

في كل شارقة إلمام بائقة يعود مأتمها عند العدى عرسا .

(مأتم والعرس) طباق إيجاب فالشاعر طابق بين المأتم والعرس ليبين فرحة العدو بالقتل والنصر .

وقوله أيضا :

وكل غاربة اجحاق نائبة تثني الأمان حذارا والسرور أسا .

(السرور ــ الأسى) طابق الشاعر بينهما يبين كيف يتحول الفرح إلى حزن وهو طباق إيجاب

ــ وقال :

[1] إبن الأثير ، ضياء الدين ، المثل السائر في الأدب والمشاعر ، ط1 ص279

خاضت حضارة يعليها ويخفضها عبابه فتعاني اللين والشرسا .

(يعليها ــ يخفضها) طباق إيجاب .

وهناك طباق سلب في قول الشاعر :

تدبيره وسع الدنيا وما وسعت وعرف معروفه واسى الورى وأسا

وسع ≠ ما وسع طباق سلبي

وقال أيضا :

مبارك هدية باد سكينة ماقام إلى حسن ولا جلسا

فلطباق هنا بين (قام ≠ جلسا) طباق ايجابي

وقوله :

وقد توارت الأنباء انك من يحي بقتل ملوك الصغر اندلسا

(يحي ≠ يقتل) طباق إيجاب

طهر بلادك منهم إنهم نجس ولا طهارة مالم تغسل النجسا

(طهر ≠ لاطهارة) طباق سلب

ياللجزيرة الضحى أهلها جزرا للحادثات وأمسى جدها نفسا

(أضحى ≠ أمسى) طباق إيجاب

مدائن حلها الإشراك مبتسما جدلان وارتحل الإيمان مبتئسا

(مبتسما ≠ مبتئسا) طباق إيجاب

الفصل الثالث ـــــــ

الفصل الثالث

- قصيدة ابن الأبار نموذجا .

- المضمون .

- الدراسة الفنية .

* الأسلوب .

* الصور البيانية .

* المحسنات البديعية .

* الموسيقى .

* التصريع .

* العاطفة .

الموسيقى :

هي من العناصر الأساسية التي يقوم عليها الشعر وهي ترتبط بمشاعر الشاعر والمتلقي معا،"وللشعر نواح عدة للمجال أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ وانسجام في توالي المقاطع وتردد بعضها بقدر معين وكل هذا ما نسميه بموسيقى الشعر "[1]

وبناء على هذا المفهوم للموسيقى سنحاول أن نتحسس الجانب الموسيقي من قصيدة ابن الأبار بدءا بجانب الموسيقى الخارجية .

1- الموسيقى الخارجية :

أ- الوزن: يذهب الدكتور "إبراهيم أنيس "إلا أن الأوزان لها علاقة بالحالة النفسية للشاعر "الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزنا طويلا كثير المقاطع يصب فيه من إشجانه ما ينفس عن حزنه وجزعه ،فادا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي وتطلب بحرا قصيرا يتلاءم وسرعة التنفس،ومثل هذا الرثاء الذي ينظم ساعة الهلع والفزع لا يكون عادة إلا في صورة مقطوعة قصيرة لا تكاد تزيد أبياتها عن عشرة ، أما تلك المراثي الطويلة فاغلب الظن أنها نظمت بعد أن هدأت ثورة الفزع واستكانت النفوس باليأس والهم المستمر"[2]

والقصيدة التي بين أيدينا من بحر البسيط مثل قول الشاعر :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا	إن السبيل لمنجاتها درسا
0/0/ 0//0/ /0/ /0/ 0/0/ /0	0/0 0/0/0/0 /0//0/ 0/

[1] إبراهيم أنيس موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ط3 - ، ص8-9

المرجع نفسه ، ص177-178

إن القصيدة من البحر البسيط الذي مفتاحه :

إن البسيط لديه يبسط الأمل مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

لكن الشاعر في تفعيلة فاعلن حذف الثاني الساكن وفي تفعيلة مستفعلن حذف الرابع الساكن .

ومثل هذا الوزن يتناسب وحالة الحزن والأسى .

ب- القافية :

"للقافية أهمية كبيرة في موسيقى الشعر ذلك لأنها عبارة عن عدة أصوات تكرر أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة وتكرارها يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويتمتع بمثل هدا التردد الذي يطرق على الآذان في فترات زمنية منتظمة وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن" [1]

والقافية تؤدي أيضا وظيفة نفسية إذ تعد نقطة هدوء يستريح فيها الشاعر ويستعيد أنفاسه ثانية في لبيت الموالي كما أنها نقطة ارتباط بين الشاعر والمتلقي .

والقافية هي آخر مقطع صوتي من العجز،تجدد باتخاذ آخر ساكن مع الساكن الذي قبله مسبوقا بالمتحرك الذي قبله (**0ا0**) ومثال ذلك من القصيدة :

مدائن حلها الاشراك مبتسما وجدلان وارتحل الايمان مبتئسا

0ااا0ا 0ا0ا0ا 0ا0ا ااا0ا ا0ا0اا 0ا0ا0 0ااا0ا

القافية في : مبتئسا

[1] المرجع السابق ، ص191

الموسيقى الداخلية :

لم يقصر ابن الأبار اهتمامه على البناء الموسيقي الخارجي الممثل في الوزن والقافية فحسب بل بدا اهتمامه الكبير بجانب آخر وهو ما يسمى بالموسيقى الداخلية وربما لاحظ القارئ أن مقدرة الشاعر الموسيقية بدت أكثر في التزامه بهذا الجانب .

والموسيقى الداخلية للنص الشعري تأتي من مصادر متعددة من الألفاظ وما لها من أصوات وما تحمله تلك الأصوات من أحاسيس ومشاعر من تالف الكلمات وتجاوزها وتتابعها وما تحدثه من اثر ينتج عنه انسجام موسيقي وتأتي أيضا من ألوان البديع الصوتي كالتقسيم والتصريح والجناس وبعض أقسام التضاد ورد العجز على الصدر وغير ذلك من أنواع التالف النغمي ،هذه العناصر الموسيقية قد تجمع كلها أو يجتمع بعضها في النص فينتج عنها إيقاع موسيقي واضح الأثر بيد انه من الصعوبة لمكان أن يهتدي الدارس إلى مواطن الموسيقى الداخلية بسهولة كما انه ليس من السهل التفنين لها واستخلاص جميع مواطنها عند هذا الشاعر أو ذاك لأنه "ليس لدينا وسائل علمية حديثة لقياس الإيقاعات الموسيقية وتحديد مواطن النبر في الكلمات العربية على نحو ما حققته الدراسات التحليلية للغات أجنبية"[1]

-**التكرار** : من ذلك تكرار الحروف فنجده حين تشترك الألفاظ في حرف واحد سواء كان في أول الكلمة أم في وسطها أم في نهايتها ، وغالبا ما يكون

[1] إبراهيم عبد الرحمان محمد : الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية ، دار النهضة العربية بيروت 1980 ط2 ص290 .

لهذاالاشتراك بين الكلمات حرف واحد "قيمة نغمية جليلة تزيد من ربط الأداء بالمضمون الشعري "[2]

ولقد ركز الشاعر على حرف الروي (س) وهو حرف عالي الصفير حاد الجرس فوزعه على أجزاء أبيات القصيدة توزيعا منظما فاخذ توزيعه هذا إيقاعا منسجما نشا من صوت هذا الحرف ولقد بني الشاعر موسيقى مطلع قصيدته على حرف السين (س) ومن ذلك قوله :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل لمنجاتها درسا

ولقد كرر الشاعر حرف المد (ا) التي تحمل المشاعر والأحاسيس العميقة لاسيما في مجال الحزن ليحدث موسيقى تتلاءم ووجوده النفسي الخاص الذي فرضه عليه موضوع البكاء والتفجع وهناك تكرار الحرف داخل الكلمة نفسها كما في " نمنمت ،سلسا ،يطأطئ، حشاشتها ".

وهناك أيضا تكرار الكلمة في قول الشاعر :

وهب لنا من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

كلمة النصر مكررة

وقول الشاعر أيضا:

وفي بلنسية منها وقرطبة ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا

كرر كلمة النفس

وقوله أيضا :

[2] محمد النويهي الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، دار الفكر العربي القاهرة ط1 ص65 .

واحي ما طمست منه العداة كما أحييت من دعوة المهدي ما طمسا

كرر هنا كلمة احي ،أحييت ،وطمست ،طمسا

إن تكرار الكلمة يولد انسجاما صوتيا عندما يوفق الشاعر في اختيار ها وهذا النوع كما يرى النعمان القاضي"وقد يكون ناتجا عن ترنم واستعذاب أو يكون ناتجا عن حالة من التوتر النفسي "[1]

التصريع : وهو لون من ألوان الموسيقى البديعة وهو عند ابن الأثير "أن تكون كل لفظة من ألفاظ الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية " [2]

ومن أمثلة التصريع الذي ورد في القصيدة قول الشاعر يصف حالة الكنائس كيف كانت :

فمن دساكر كانت دونها حرسا ومن كنائس كانت قبلها كنسا

وقول الشاعر في مطلع القصيدة :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل لمنجاتها درسا

وقوله:

من كل غاد على يمناه مستلما وكل صاد إلى نعماه ملتمسا

العاطفة :

[1] النعمان القاضي أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي ، ط1 ص505–506 .
[2] ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في الأدب و المشاعر ط1 ص295

نستكشف من خلال هذه القصيدة التي بين أيدينا أن عاطفة ابن الأبار تتراوح بين المدح والفخر والحقد على المعتدي الغادر تعلوها صفة حزينة على ما جرى ببلدته وهي عاطفة إنسانية هادئة هدوء المنطق لان الشاعر هنا يخاطب العقل البشري كما في ذلك وجدانه وعاطفة دينه .

كان ابن الأبار رزين العاطفة صادق الإحساس لأنه عايش التجربة وعان منها واستطاع نقلها إلى القارئ الذي لا يملك إلا أن يتجاوب معه فخورا بالأمير ثائر عن الطغيان متحسرا على ما جرى ببلدته .

وعاطفته لا تقف وراء غاية شخصية أو هدف ذاتي فهو شاعر ملتزم بحب وطنه والدفاع عنه .

المقابلة:

" ليست المقابلة حلية أو زخرفة شكليا لكنها عنصر أساسي في بناء الصورة الشعرية وإيضاحها وإضفاء المسحة الجمالية عليها والمقابلة في الشعر هي إيراد الكلام ومقابلته بمثله في المعنى وللفظ على جهة الموافقة والمخالفة ". [1]

ومن أمثلتها :

قول الشاعر وهو يصف حالة الشرك في الأندلس ورحيل الإيمان :

مدائن حلها الإشراك مبتسما جدلان وارتحل الإيمان مبتئسا

مقابلة في : (حلها الإشراك مبتسما ≠ جدلان وارتحل الإيمان مبتئسا)

وقال الشاعر أيضا يصف بطش العدو وتدينيه إلى ماليس فيه حق

خلاله الجو فامتدت يداه إلى إدراك مالم تطأ رجلاه مختلسا

المقابلة في فامتدت يداه إلى ≠ تطأ رجلاه مختلسا

وقوله أيضا :

تمحوا لدي كتب التجسيم من ظلم والصبح ماحية أنواره الغلسا

المقابلة في :كتب التجسيم من ظلم ≠ ماحية أنواره الغلسا

يبدي النهار بها من ضوئه شنبا ويطلع الليل من ظلماته لعسا

المقابلة في: النهاربها من ضوئه شنبا ≠ الليل من ظلماته لعسا

الجناس:

[1] أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين تحقيق مفيد قميحة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ص337 .

ــ إن خاصية الجناس الهامة هي تكرار الحروف بعينها مما يولد موسيقى داخل النصوص الشعرية ،ومن أمثلة الجناس ماورد في قول الشاعر:

وفي بلنسية منها وقرطبة ما ينسف النفس أو ما يترف النفس

النفس = النفسا جناس تام ، ينسف = النفس جناس ناقص

أيام سرت لنصرا لحق مستبقا وبت من نور ذاك الهدي مقتبسا

مستبقا = مقتبسا جناس ناقص

ملك تقلدت الأملاك طاعته دينا ودنيا فعشاها الرضي لبسا

دينا = دنيا جناس ناقص

من كل غاد على يمناه مستلما وكل صاد إلى نعماه ملتمسا

عاد = صاد ،مستلما = ملتمسا جناس ناقص .

وللجناس دور أساسي يتمثل في خدمة موسيقى النص وقد زادت هذه المحسنات البديعية جمالا في المعنى وتأثيرا وعمقا وساعدت على تجلية وتوضيح المعنى وتقريبه إلى الأذهان .

الخاتمة :

نسجل في ختام هذا البحث أهم الملاحظات والإستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة .

– شهدت البلاد الأندلسية في عصر ملوك الطوائف ضعفاً سياسياً كانت نتيجته سقوط معظم مدنها وممالكها فخلف ذلك وقعاً في نفوس شعرائها الذين تجاوبوا مع الحدث بعديد المرثيات .

– كانت مدينتا طليطلة واشبيلية ومملكتا بنو عباد وبنو الأفطس من أكثر المدن والممالك رثاء .

– أما فيما يخص سينية إبن الأبار :

1_ التزام الشاعر ابن الأبار كغيره من شعراء رثاء المدن والمماليك الزائلة كقضية هامة من قضايا المجتمع العربي ألا وهي تصوير نكبات المسلمين الممثلة في احتلال بعض مدنهم وزوال بعض ممالكهم وتشرد مجموعة كبيرة من أهاليهم.

2 _ تأثر ابن الأبار تأثرا شديدا بما كاد يلم ببلدته من خطر فاستغاث لها .

_ بلغ الشاعر مستوى عال من الناحية الفنية لما أضاف إلى مدينته ووطنه عنصر الاستغاثة والنجدة .

_ كان في قصيدته صادق العاطفة وهو يتحدث عن وطنه .

_ كانت أفكاره مرتبة ونظمه محكم مع كثرة ألوان البديع والصور البيانية التي غزت قصيدته .

3_ رد على سابقيه ففصل ما أجملوه ،ولم يقتنع بالحديث عن المساجد وإنما تحدث عن الأجراس التي خلفت دقاتها من المساجد أصوات المؤذنين .

وتؤكد قصيدته معنى جديدا وهو التأكيد على ضرورة التقارب والتضامن بين الأندلسيين والمغرب وحق كل واحد منهما أن يطلب العون من الآخر كلما الحق به الخطر .

قائمة المصادر والمراجع :

1- أحمد عقون رثاء المدن والممالك الزائلة في الشعر العربي القديم - رسالة ماجستير 1995.

2- إبراهيم أنيس موسيقى الشعر مكتبة الانجلو مصرية ط3 - 1965.

3- إبراهيم عبد الرحمان محمد الشعر قضاياه الفنية والموضوعية دار النهضة العربية بيروت 1980 .

4- ابن الأثير ضياء الدين المثل السائر في الأدب والمشاعر مكتبة مصطفى البابي الحلبي القاهرة 1939 .

5- جابر عصفور الصورة الفنية في الثرات النقدي والبلاغي المركز الثقافي العربي بيروت لبنان 1992 .

6- ابن رشيق العمدة مطبعة القاهرة 1963 .

7- ساندرا قوابي - رسالة ماجستير 2003 - 2004.

8- شوقي ضيف الرثاء - دار المعارف بمصر ط2 .

9- صلاح عبد الحافظ الصنعة الفنية في شعر المتنبي دار المعارف ط1 ، 1983 .

10- أبو عبد الله الأبار - حياته شخصيته - (دراسة فنية) رسالة دكتوراه كلية الآداب واللغات جامعة منتوري قسنطينة 1997.

11- عبد السلام الهراس ديوان إبن الأبار الدار التونسية للنشر ط 2 .

12- عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز السلسلة الأدبية الجزائر 1991 .سان

13- عمر فروخ تاريخ الأدب العربي الأدب في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين الجزء الخامس دار العلم للملايين ط1 1982 .

14- قزويني محمد عبد الرحمان الإيضاح في علوم البلاغة مطبعة القنسة المحمدية .

15- المرزوقي شرح ديوان الحماسة القاهرة .

16- محمد بن لخضر فورار الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية - رسالة ماجستير 1995 .

17- محمد زكريا عناني في الأدب الأندلسي جامعة الإسكندرية دار المعرفة الجامعية 2003.

18- محمد النويهي الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه .

19- محمد حسن أبو ناجي الرثاء في الشعر العربي أو جراحات القلوب بيروت لبنان ط2.

20- مخطوطة الصنعة البديعة في شعر خاتمة الأنصاري .

21- المقري أحمد بن محمد نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب تحقيق محمد الدين عبد الحميد دار الكتاب العربي لبنان .

22- النعمان القاضي أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي .

23- أبو هلال العسكري كتاب الصناعتين .

الفهرس

ـ مقدمة.....ب

ـ مدخل : 3

ـ الأندلس تاريخيا في فترة ملوك الطوائف 7

ـ التعريف بابن الابار 10

ـ الفصل الأول :

ـ رثاء المدن :..... 12

ـ طليطلة 13

ـ اشبيلية 16

ـ الفصل الثاني :

ـ رثاء الممالك :..... 24

ـ بني العباد 24

ـ بني الأفطس 26

ـ الفصل الثالث :

ـ القصيدة السينية لابن الابار (أنموذجا)..... 33

ـ الدراسة الموضوعية 36

ـ الدراسة الفنية :..... 37

ـ الأسلوب..... 39

ـ الصور البيانية 46

ـ المحسنات البديعية 47

ـ الموسيقى 52